المملكة العربية السعودية
وزارة الحج والأوقاف

هدية
من المؤلف

التفسير البسيط للقرآن الكريم

بقلم
د. حسن محمد باجودة

الجزء السابع

منشورات الأمانة العامة لمسابقة القرآن الكريم الدولية

الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا تفسيرٌ مبسّطٌ للجزء السّابع من القرآن الكريم ، يكمل به تفسير سورة المائدة ويغطّي قسماً من سورة الأنعام . وقد قمت بعمله على غرار تفسير الأجزاء السّتّة السّابقة ، الّتي طبعتها وزارة الحجّ والأوقاف مشكورة ، تلبية لرغبةٍ كريمةٍ للّجنة العليا المنّظمة للاحتفال السنويّ العالميّ لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره ، برئاسة معالي وزير الحجّ والأوقاف الأستاذ عبدالوهّاب أحمد عبدالواسع . إنّ هذا الجزء السّابع هو ميدان التّفسير للمتسابقين في الحقل الأوّل ، الّذي يشمل حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التّفسير ، من بين الحقول الخمسة للمسابقة في الاحتفال السّنويّ العاشر المنعقد في شهري جمادي الأولى والآخرة سنة ١٤٠٨ هـ . وكأنّ هذا التّفسير تتويجٌ للأعمال الّتي تمّت في مجال التّفسير في أثناء الاحتفال العاشر ، علماً بأنّ ميدان المتسابقين هذا العام ١٤٠٩ هـ هو الجزء الثّامن من القرآن الكريم .

وأنتهز هذه الفرصة المباركة كي أوجّه خالص شكري وتقديري لوزارة الحجّ والأوقاف ، وعلى رأسها معالي الوزير ، على الثّقة الّتي منحتني إيّاها ، بأن أقوم بعمل هذا التّفسير ، الّذي حرصت فيه ، كما حرصت في سابقيه على أمورٍ أهمّها ثلاثة :

١ ــ أن أبيّن مظاهر التّرابط بين الآيات الكريمات والموضوعات .

٢ ــ أن أشير إلى الدّروس الّتي يمكن أن تستفاد .

٣ ــ أن أنسب الأقوال كلّها إلى مصادرها .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبّله ،

وأن يعفو عمّا بدر منّا من تقصير ، وألاّ يحرمنا الأجر ، إنّه سميعٌ مجيب .

﴿ ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا . ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به . واعف عنّا وأغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .

﴿ سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون . وسلامٌ على المرسلين . والحمد لله ربّ العالمين ﴾ .

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله ربّ العالمين .

مكّة المكرّمة
يوم الأربعاء ١٤٠٨/١١/٢٢ هـ
الموافق ١٩٨٨/٧/٦ م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه

د. حسن محمد باجودة
رئيس قسم الدراسات العليا العربية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

أوّلاً

تمام سُورَة المائدة

﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ
وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ
ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ ۙ
وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ
ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ
بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ
فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟
أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ
مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟
ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ
رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ
أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ
ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ
وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ
يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ
مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ
عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا
عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ۖ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ ۖ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ
سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ
أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ
مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ
أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ
أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ
لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا
بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى
وَبِرَسُولِى ۖ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى
وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى
نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا
قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ
وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ
يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾
لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

بين يدي التفسير

أشد الناس عداوة للذين آمنوا وأقربهم مودة لهم
وأمر للمؤمنين بالطريق الوسط

الآيات : ٨٢ – ٨٩

تحدثت الآيات الكريمات الأخيرات من الجزء السّادس السّابق عن كافرى بني إسرائيل . وإنّ أولى آيات الجزء السّابع الّتي تخاطب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ابتداءً تبيّن في طريقةٍ مؤكّدةٍ أنّ أشدّ النّاس عداوةً للّذين آمنوا اليهود والّذين أشركوا أمّا اليهود فبسبب داء الحسد للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم وللعرب الّذين بعث الله تعالى فيهم خاتم الأنبياء والمرسلين . وأمّا الّذين أشركوا فبسبب حبّهم الأعمى للأصنام وخشيتهم على مصالحهم أن يذهب بها الإسلام . كما تبيّن الآية الكريمة في طريقةٍ مؤكّدةٍ أيضاً أن أقرب النّاس مودّةً للّذين آمنوا الّذين قالوا إنّا نصارى لأنّ منهم قسيسين وهم العلماء ، ورهباناً وهم العبّاد ، ولأنّهم لا يستكبرون . وسواءٌ كان نزول الآية الكريمة والّتي تليها في النّجاشيّ والوفد الّذي بعث به إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أو كان نزولها في قومٍ من النّصارى تلك صفاتهم فإنّ الرّوايات تذهب إلى أنّ هؤلاء وأولئك قد أسلموا واتّبعوا الرّسول النّبيّ الأمّيّ الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في الإنجيل . وحينما يكون النّصارى وراء ذلك من أشدّ النّاس عداوةً للّذين آمنوا يكون في ذلك تأكيدٌ للروايات الّتي ذهبت إلى أنّ أولئك النّصارى الّذين تعنيهم الآيات الكريمات قد أسلموا . والمعروف أنّ الآيات الكريمات التّاليات تقرّر إسلام هذا الفريق من النّصارى . وهذا الفريق إذا سمع القرآن الكريم الّذي أنزله الله تعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين ترى أعينهم تفيض من الدّمع الّذي امتلأت به بسبب ما عرفوا من الحقّ يقولون ربّنا آمنّا بما أنزلت على رسولك فاكتبنا مع الشّاهدين بأنّك أنزلت القرآن الكريم بالحقّ وأنّ القرآن الكريم بالحقّ نزل ، ويقولون كذلك : ما الّذي يمنعنا أن نؤمن بالله تعالى وما جاءنا من الحقّ الّذي أنزله الله تعالى على خاتم النّبيّين وما الّذي يمنعنا أن نطمع أن يدخلنا ربّنا مع القوم الصّالحين في جنّات عدنٍ الّتي عرضها السّماوات والأرض . وقد أثابهم الله تعالى بما قالوا جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار يدخلونها ويخلدون فيها وذلك جزاء المحسنين . وإذا كان من نصيب هؤلاء الّذين آمنوا واتّقوا الجنّة والنّعيم المقيم فإنّ من نصيب الّذين كفروا النّار والعذاب الأليم .

ولّما كان النّصارى قد ابتدعوا الرّهبانيّة وكان فريقٌ من الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم مستعدّاً لأن يحذو حذو أولئك الّذين تركوا شهوات الدّنيا فقد نهى السّياق بعد ذلك الّذين آمنوا أن يحرّموا طيّبات ما أحلّ الله تعالى لهم ، كما نهاهم عن الاعتداء على حرمات الله تعالى بتحليل ما حرّم الله تعالى مقرّراً أنّ الله تعالى لايحبّ المعتدين بتحليل ما حرَّم الله أو تحريم ما أحلّ الله . فعليهم إذن بالطّريق الوسط ، وعليهم أن يأكلوا ممّا رزقهم الله تعالى حلالاً غير حرام طيّباً غير خبيث ، وأن يتّقوا الله تعالى الّذي هم به مؤمنون بأنّه واحدٌ فردٌ صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

وبما أنّ بعض الصّحابة قد أقسموا أن يحرّموا النّساء واللّحم على أنفسهم وقد نهوا عن تحريم الطّيّبات الّتي أحلّها الله تعالى فإنّ السّياق يبيّن كفّارة اليمين فيقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى لايؤاخذنا باللّغو في أيماننا ولكن يؤاخذنا بما صمّمنا عليه وقصدناه منها . وكفّارة اليمين على التّخيير لذا كان ثمّة تدرّجٌ وتحوّلٌ من السّهل إلى الصّعب : ﴿ فكفّارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة . فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيّام ﴾ وتأمرنا الآية الكريمة أن نحفظ أيماننا ، إن حلفنا إلاّ نحنث ما لم تكن على برّ . وإن حنثنا أن نكفّر . وتأمرنا الآية الكريمة بأن نشكر لله تعالى على هذا التّبيين للأحكام بعبادته جلّ وعلا حقّ العبادة .

الخمر والميسر والأنصاب والأزلام

رجس

الآيات : ٩٠ ـ ٩٣

نهى السّياق من ذي قبل المؤمنين عن أن يحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لهم وعن الاعتداء على حدود الله تعالى بتحليل ما حرّم الله . ومن الرّجس الّذي حرّم الله تعالى وأمر باجتنابه الخمر وهي كلّ ما خامر العقل وغطّاه ، والميسر وهو القمار الّذي يؤكل به أموال النّاس بالباطل ، والأنصاب وهي الحجارة الّتي كانت منصوبةً حول الكعبة يذبح العرب عندها وينضحونها بدماء تلك الذّبائح ، والأزلام وهي القداح الّتي كانوا يحاولون أن يعرفوا عن طريقها حظّهم ويأتمرون بأمرها . ويلاحظ أنّ الآية الكريمة تأمر باجتناب هذه المحرّمات ، وبشأن الخمر تمثّل الآية الكريمة المرحلة الثّالثة والأخيرة من مراحل تحريم الخمر . ولمّا كانت

الأنصاب قد غدت بفضل الله تعالى كأمس الدّابر وكذلك الأزلام فقد بيّن السّياق أنّ الشّيطان إنّما يريد أن يوقع بيننا العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وأن يصدّنا عن ذكر الله تعالى وعن الصّلاة فعلى النّاس أن يمتنعوا عن الخمر والميسر . ومع أنّ كلاً من العداوة والبغضاء مرتبطٌ بالخمر والميسر فإنّ تقديم الخمر والعداوة يوحى بارتباطهما الشّديد ، وتأخر الميسر والبغضاء يوحي كذلك بارتباطهما الشّديد . وكأنّ الخمر أكثر ارتباطاً بالعداوة ذات العلاقة بالاعتداء السّافر من المخمور ابتداءً ومن المعتدى عليه تبعاً . وكأنّ الميسر أكثر ارتباطاً بالبغضاء الكامنة بطبعها في الصّدور كمون النّار في الجلمود لأنّ المتعامل بالميسر يقدم عليه اختياراً وبذلك هو يرى ما له يذهب به قامره ولايملك سوى أن تذهب نفسه مع ماله حسرات .

وبعد مجموعة الأوامر والنّواهي يأمر السّياق الّذين آمنوا بأن يطيعوا الله تعالى ويطيعوا رسوله صلّى الله عليه وسلّم طاعةً مطلقة وبأن يحذروا مخالفة الله تعالى ومخالفة رسوله صلّى الله عليه وسلّم أمّا من أعرض وعصى فليعلم أنّما على الرّسول البلاغ وعلى الله تعالى الجزاء . ولمّا كان بعض الصّحابة ، وقبل أن ينزل التّحريم النّهائيّ للخمر ، قد شرب الخمر فقد كان ثمّة سؤالٌ عن مصير هؤلاء الذين ماتوا قبل تحريمها وكانوا يشربونها وكان في السّياق جوابٌ على هذا السّؤال وتقريرٌ بأنّه ليس على الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات إثمٌ فيما شربوا من خمر قبل تحريمها تحريماً قاطعاً إذا ما اتّقوا الله تعالى وآمنوا به جلّ وعلا وبرسوله وعملوا الصّالحات ثمّ اتّقوا وآمنوا ثمّ اتّقوا وأحسنوا ، بأن كان منهم صعودٌ مستمرٌ في درجات سلم الإيمان والتّقوى حتّى انتهوا إلى درجة المحسنين الّذين يحبّهم الله تعالى وهم الّذين يعبدون الله تعالى كأنّهم يرونه جلّ وعلا .

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ

الآيات : ٩٤ – ٩٦

ممّا له علاقةٌ بالنّهي عن الاعتداء على ما حرّم الله تعالى صيد البرّ في حقّ المحرم . إنّ السّياق يقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى سيبتلي الّذين آمنوا بشيءٍ من الصّيد ، عام الحديبية وفي كلّ زمان ، تناله أيديهم بشأن صغاره وفراخه ، وتناله رماحهم بشأن كباره وهم محرمون

ليعلم الله سبحانه وتعالى علم ظهورٍ من يخافه بالغيب ﴿فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم﴾ إنّ من اعتدى بعد ذلك الإعلام من الله تعالى بتحريم صيد البرّ على المحرم فله عذابٌ أليم . وينهي السّياق بعد ذلك الّذين آمنوا عن قتل صيد البّر وهم حرم . ومن قتله منهم متعمّداً ، ذاكراً أنّه محرمٌ أو ناسياً فعليه جزاءٌ مثل ما قتل من النّعم يحكم بالمثل شخصان ذوا عدلٍ من المؤمنين فقيهان هدياً واصلاً إلى الحرم بأن يذبح هنالك ويفرّق لحمه على مساكين الحرم أو عليه كفّارةٌ طعام مساكين أو عليه عدل ذلك صياماً ليذوق عقوبة ذنبه . وتقرّر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى قد عفا عمّا مضى من قتلٍ لصيد البرّ من قِبَل المحرم قبل تحريم صيد البرّ على المحرم أمّا من عاد إلى قتل الصيّد وهو محرم فينتقم الله منه والله عزيزٌ في ملكه ذو انتقامٍ من الجرىء على حرمات الله تعالى . ويقرّر السّياق بعد ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى أحلّ لنا صيد البحر وما يقذف به ميتاً متاعاً لنا وللمسافرين سواءٌ الحلال والمحرم في هذا الحكم ، وحرّم علينا صيد البرّ مادمنا محرمين ، ويأمرنا بتقوى الله تعالى الّذي نحشر إليه بعد الموت والبعث .

حرمة المكان والزمان وأحكام في الحلال والحرام
وعلى المؤمنين أن يحفظوا أنفسهم
الآيات : ٩٧ — ١٠٥

إذا كان السّياق تحدّث من ذي قبل عن حرمتي المكان والزّمان فإنّ السّياق يعود إلى الحديث في هاتين الحرمتين فيقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى جعل الكعبة البيت الحرام والبلد الحرام قياماً للنّاس ، تقوم به منافعهم وتتحقّق به مصالحهم ، وهذه هي حرمة المكان ، كما جعل الأشهر الأربعة الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم تقوم بها مصالح النّاس ، وهذه هي حرمة الزّمان . وإذا كان الأمن من الخوف ثمرة حرمتي المكان والزّمان فإنّ الهدي ، وهو ما يهدى إلى البيت الحرام من النّعم ، والقلائد ، وهو ما يهدى إلى البيت من النّعم مع تقليد الهدي من شجر الحرم ليُعْلَم أنّه هديٌ فلا يعترضه أحد ، فإنّ الهدي والقلائد ثمرتهما الإطعام من الجوع . وإزاء نعمتي الأمن من الخوف والإطعام من الجوع ينبّه السّياق النّاس بأنّ هذه النّعم الّتي أسبغها الله تعالى على البلد الحرام لنعلم أنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما في السّماوات وما في الأرض وأنّ الله بكلّ شيءٍ عليم . إنّ الله سبحانه وتعالى الّذي يعلم الصّالح لعباده هو الّذي أطعم سكّان الحرم من جوعٍ وآمنهم من

خوف . والمطلوب من النّاس وقد علموا بهذه النّعم أن يقوموا بما يجب عليهم من شكرٍ لله تعالى عليها ، وفي حالة كفران النّعم عليهم أن يعلموا أنّ الله شديد العقاب وأنّه غفورٌ رحيم لمن تاب توبةً نصوحا . ويقرّر السّياق مسئوليّة كلّ إنسان عمّا يعمل ويترك يأتي ويدع فليس على الرّسول سوى البلاغ والله سبحانه وتعالى يعلم ما نبدي وما نكتم فلا يخفى على الله تعالى شيءٌ في الأرض ولا في السماء .

أما وقد بعث الله سبحانه وتعالى محمّداً صلّى الله عليه وسلّم آمراً بالمعروف وناهيا عن المنكر محلاً للطّيّبات محرّماً للخبائث فقد تحوّل السّياق إلى الحديث عن الخبيث والطّيّب من زاوية نفي المساواة بينهما ولو أعجب العينَ كثرة الخبيث فعلينا أن نتّقي الله تعالى وأن نكتفي بالطّيب الحلال المستلّذ ولو كان قليلاً لعلّنا نُفْلح ونحن الّذين منّ الله تعالى علينا بنعمة العقل مناط التّكليف . ولمّا كان ربّ العزّة الّذي أرسل إلينا رحمته المهداة ونعمته المسداّة محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم قد وسعت رحمته كلّ شيءٍ وأراد بنا اليسر لا العسر لذا فقد تحوّل السّياق إلى مظهرٍ من مظاهر الرّحمة وإرادة اليسر . فها هو ذا السّياق ينهي الّذين آمنوا أنّ يسألوا المصطفى صلّى الله عليه وسلّم عن أشياء سكت ربّنا جلّ وعلا عنها رحمةً بنا غير نسيان فإذا ما نزل القرآن الكريم بشيءٍ منها وسئل المصطفى صلّى الله عليه وسلّم عنها تبيّن معناها . ويقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى قد عفا عن المسألة السّابقة وأنّ الله غفورٌ لمن تاب بعد ذنب حليم لايعاجل المذنب بالعقوبة . ويبيّن السّياق الحكمة من النّهي وهي أنّ أقوام النّبيّين السّابقين كقوم عيسى عليه السّلام ، قد سألوا أنبياءهم عن أشياء ، كما سأل أتباع عيسى عليه السّلام المائدة ، ثمّ أصبحوا بها كافرين لأنّ فيها مشقّةً عليهم وعنتاً بهم . وممّا له علاقة بإرادة العباد العسر بأنفسهم وليس اليُسْر ما افتراه على الله تعالى كاذبو العرب الّذين عطّلوا عقولهم من الزّعم بأنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذي جعل البحيرة والسّائبة والوصيلة والحامي . وهذه الأنواع من النّعم فعل بها العرب ذلك زاعمين أنّهم يتقرّبون إلى الله تعالى بها لأنّه جلّ وعلا هو الّذي جعلها وقد كذبوا على الله تعالى . وقد انتهى تعطيل هؤلاء نعمة العقل إلى الدّرك الّذي حينما يقال لهم معه تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرّسول قالوا كافينا ما وجدنا عليه آباءنا . وفي أسلوب الاستفهام الإنكاريّ يقال للقوم : أكافيهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كان آباؤهم لايعلمون شيئاً ولا يهتدون . إنّ الآباء لا عقل لهم ولا علم ولا اهتداء فكيف يقتدى بهم المقتدون إن

لم يكونوا عمي البصائر على شاكلتهم . وبقصد تسلية المؤمنين يأمرهم السّياق بأن يحفظوا أنفسهم ويقوموا بصلاحها لايضرّهم من ضلّ إذا اهتدوا . ويقرّر السّياق أنّ مرجع النّاس جميعاً إلى الله تعالى فينبّئهم يوم القيامة بما كانوا يعملون .

تعاليم حين الوصيّة

الآيات: ١٠٦ ـ ١٠٨

الآيات الكريمات الثّلاث في الوصيّة ومتعلّقاتها . ومن العلماء من ذهب إلى أنّ الحكم ثابتٌ في الوصيّين منسوخٌ في الشّاهدين وكذا شهادة غير أهل الملّة منسوخة ومن العلماء من ذهب إلى أنه ليس ثمّة نسخ لأنّ سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن . يضاف إلى ذلك أنّ الإسلام الّذي يغزو حتّى يوم النّاس هذا الوهاد والنّجاد يصادف في بعض البيئات الّتي بدأ الإسلام يصل إليها ظروفاً شبيهةً بظروف فجر الإسلام فثمّة احتمال عدم وجود الشّاهدين المسلمين حينما تحضر الوفاة واحداً من المسلمين . والآية الكريمة الأولى تخاطب الذين آمنوا بأن يشهد بينهم إذا حضر واحداً من المسلمين الموت حين الوصيّة اثنان ذوا عدلٍ من المسلمين أو آخران من غير المسلمين في حال عدم وجود المسلمين بسبب إيغال المسلم في السّفر ودنوّ أجله . إنّه في حال الارتياب من قبل أهل المتوفّى في الشّاهدين من حقهم أن يرفعوا الأمر إلى الحاكم الّذي يحبس الموصيين ويوقفهما بعد الصّلاة ، إن كانا مسلمين فبعد صلاة العصر الصّلاة الوسطى فيما يقال ، وإن كانا غير مسلمين فبعد صلاتهما الّتي ينبغي أن يكون لها أثرٌ فيهما يحملهما على الصّدق في القول والفعل . إنّ الموصيين يقسمان بالله العظيم لانشتري بيميننا ثمناً ولو كان المقسم له ذا قرابة منّا ولا نكتم شهادة الله إنّا إذاً من الآثمين إن لم نفعل ذلك . وتقرّر الآية الكريمة أنّه إذا ظهر أنّ الموصيين قد استوجبا بأيمانهما إثماً وثبت أنّهما خائنان يقوم حينئذٍ مقامهما من ورثة الميّت الأقربان إلى الميّت من بين أقربائه الّذين وقع عليهم هذا الإثم ومن بين ورثته الّذين حلّ بهم هذا الظّلم فيقسم قريبا الميّت بالله تعالى لشهادتنا وأيماننا أحقّ من شهادتهما وأيمانهما الكاذبة وما تجاوزنا الحقّ إنّا إذاً لمن الظّالمين . وتقرّر الآية الكريمة الثّالثة أنّ ذلك الحكم المذكور أقرب أن يأتي الأوصياء بالشّهادة على وجهها وأقرب أن يخافوا أن تردّ الأيمان إلى

الورثة بعد أيمان الأوصياء الّتي ردّت وأقرب أن يخشوا الفضيحة على رءوس الأشهاد . وتأمر الآية الكريمة النّاس جميعاً بأن يتّقوا الله تعالى وأن يسمعوا دعوة الحقّ سماع قبول كما تقرّر أنّ الله لا يهدي القوم الفاسقين .

مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالى عَلى عِيسى عَلَيهِ السَّلام
وأمرُه قومَهُ أن يَعبُدُوا اللهَ وَحْدَه
الآيات : ١٠٩ — ١٢٠

أمرت آخر آيةٍ في القسم السّابق النّاس بأن يتّقوا الله تعالى ويسمعوا سماع وعيٍ وقبول . والمقصود الاستعداد ليوم القيامة المجموع له النّاس المشهود . ويبدأ السّياق في هذا القسم التّالي بالحديث عن يوم القيامة الّذي يجمع الله تعالى فيه الرّسل ويقول لهم بقصد تبكيت المكذّبين من أقوامهم : ماذا أُجِبْتم . إنّ الله سبحانه وتعالى يعلم كلّ شيءٍ وإنّ المرسلين المصطفين الأخيار لايعلمون إلاّ ما علّمهم الله تعالى لذا كان جوابهم من هذا المنطلق الّذي أيّده حسن الأدب الّذي فطرهم الله تعالى عليه . إنّهم لايعلمون إلاّ ما علّمهم الله تعالى علّام الغيوب . ومن هؤلاء المرسلين عيسى عليه السّلام وقد نصّت السّورة الكريمة في ثلاثة مواضع على كفر الغالين من أتباعه عليه الصّلاة والسّلام . إنّ الله سبحانه وتعالى ليأمر عيسى عليه السّلام أن يذكر نعمته تعالى عليه حينما خلقه من غير أب وعلى والدته فقد كان الشّاهد ببراءتها من اتّهام الكاذبين الفاسقين لها في عفّتها . ومن نعم الله تعالى على عيسى عليه السّلام أنّه جلّ وعلا أيّده بجبريل عليه السّلام وجعله يكلّم النّاس في المهد ويدعوهم إلى الله تعالى كهلاً وعلّمه الكتابة ، والقراءة مندرجةٌ تحتها ، وعلّمه الحكمة والتّوراة والإنجيل . وجعل من معجزاته عليه الصّلاة والسّلام أن يخلق من الطّين كهيئة الطّير بإذنه تعالى فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله تعالى ويبرىء الأكمه الّذي ولد أعمى ومن باب أولى من عمي بعد إبصار ويبرىء الأبرص بإذن الله تعالى ويدعو الموتى فيخرجون من قبورهم بإذن الله تعالى . ومن مظاهر نعم الله تعالى عليه أنّه جلّ وعلا كفّ بني إسرائيل عنه حينما أرادوا قتله وقد جاءهم بالبيّنات فقال الّذين كفروا منهم ما هذا الّذي جاء به عيسى إلاّ سحرٌ مبين .

ويستمرّ السّياق في تعداد نعم الله تعالى على عيسى عليه السّلام فيقرّر أنّ الله

سبحانه وتعالى قد أوحى لحواريّي عيسى عليه السّلام وأصفيائه ، وحي إلهام أو بواسطة عيسى عليه السّلام أن يؤمنوا به جلّ وعلا وحده لاشريك له وأن يصدّقوا عيسى عليه السّلام ففعلوا وطلبوا منه عليه الصّلاة والسلام أن يشهد بأنّهم مسلمون لله ربّ العالمين . إنّ عيسى عليه السّلام لم يعان من كافري بني إسرائيل وحدهم إنّما عانى من أصفيائه كذلك ، فهؤلاء الحواريون يسألونه عليه الصلاة والسلام : هلْ يستطيع ربّك وهل يستجيب لك إذا سألته أن ينزّل علينا مائدةً من السّماء فإنّا محتاجون للطّعام ! قال عليه الصّلاة والسّلام : اتّقوا الله تعالى إن كنتم مؤمنين حقّا . وأصرّ الحواريّون على طلبهم وقالوا نريد أن نأكل منها لحاجتنا الشديدة للّطعام ، ونريد أن تطمئنّ قلوبنا ويقوى إيماننا ، وأن نعلم بنزولها أنّك قد صدقتنا في قولك إنّك رسول ربّ العالمين ، وأن نكون عليها من الشّاهدين بأنّها آيةٌ على قدرة الله تعالى وآية دالّة على صدقك . ويدعو عيسى عليه السّلام ربّه جلّ وعلا أن يُنْزل عليهم مائدةً من السّماء تكون لهم عيداً لأولهم وآخرهم يعّظمون الله سبحانه وتعالى فيه ، وتكون آيةً يتبيّن منها قدرته جلّ وعلا وصدق عيسى عليه السّلام . كما دعا ربّه جلّ وعلا أن يرزقهم رزقاً هنيئاً هيّناً بلا تعبٍ ولا مشقّة . ويستجيب الله تعالى دعاء عيسى عليه السّلام ويبيّن جلّ وعلا أنّه سينزل المائدة عليهم فمن يكفر بعد ذلك من بني إسرائيل برسالة عيسى عليه السّلام فإنّ الله سبحانه وتعالى سيعذّبه عذاباً لايعذّبه جلّ وعلا أحداً من العالمين المعاصرين لهم .

وبقصد تبكيت الغلاة من أتباع عيسى عليه السّلام يقول الله تعالى يوم القيامة لعيسى عليه السّلام : ﴿ أأنت قلت للنّاس اتّخذوني وأمّي إلٰهين من دون الله ﴾ ؟ إنّ الله سبحانه وتعالى أعلم بما قال رسوله المصطفى عيسى عليه السّلام لأتباعه وها هو ذا عيسى عليه السّلام يبادر إلى تنزيهه جلّ وعلا عن الشّريك والصّاحبة والولد مقرّراً أنّه ما يصحّ منه أن يقول ما ليس له بحقّ وأنّه جلّ وعلا يعلم ما قاله عليه الصّلاة والسّلام وأنّه جلّ وعلا يعلم ما في نفس عيسى عليه السّلام ، وليس في نفسه سوى توحيد الله تعالى ، وأنّ عيسى لايعلم إلاّ ما علّمه إيّاه الله تعالى علاّم الغيوب . إنّ ما قاله عيسى عليه السّلام لقومه هو ما أمره الله تعالى به بأن يعبدوه جلّ وعلا وحده لاشريك له فهو ربّ عيسى وربّ بني إسرائيل وربّ كلّ شيء . ويقرّر عيسى عليه السّلام أنّه كان شهيداً على قومه مادام فيهم فلّما توفّاه الله

تعالى كان جلّ وعلا هو الرّقيب عليهم والله على كلّ شيء شهيد وفيهم عيسى الشّهيد على قومه مادام فيهم . أما وقد ثبتت براءة عيسى عليه السّلام على رءوس الأشهاد وغلّو أتباعه فإنّ عيسى عيه السّلام يجيء على لسانه الآية الكريمة : ﴿ إن تعذّبهم فإنّهم عبادك وإن تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

وبثبوت براءة عيسى عليه السّلام وأمّه مريم البتول يقول الله تعالى في ذلك اليوم العظيم هذا يوم ينفع الصّادقين فيه صدقهم كعيسى عليه السّلام لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . ويتوّج كلّ ذلك برضا الله تعالى عنهم الّذي لاسخط بعده وذلك هو الفوز العظيم . وما أشدّ رضا المؤمنين برضا الله تعالى عنهم .

وتختم السّورة الكريمة بتبيين أنّ لله تعالى وحده لاشريك له ملك السّماوات والأرض وما فيهنّ ومن فيهن وأنّ الله على كلّ شيء قدير .

التفسير

أشد الناس عداوة للذين آمنوا وأقربهم مودة لهم
وأمر للمؤمنين بالطريق الوسط

الآيات: ٨٢ - ٨٩

﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

لتجدّن : يا محمّد[١] .

للّذين آمنوا : للّذين صدّقوا الله ورسوله محمّداً صلّى الله عليه وسلّم[٢] .

والّذين أشركوا عبدة الأوثان الّذين اتّخذوا الأوثان آلهةً يعبدونها من دون الله[٣] .

الّذين قالوا إنّا نصارى : الّذين زعموا أنّهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله[٤] .

ذلك بأنّ منهم قسّيسين : جمع قسّيس . وقد يجمع القسّيس قُسوس ، لأنَّ القَسّ والقِسّيس بمعنىً واحد[٥] وهم خطباؤهم وعلماؤهم[٦] قال ابن زيد : القسّيسين عبّادهم[٧] .

ورهبانا : الرّهبان جمع راهب وهو العابد مشتقٌّ من الرّهبة وهي الخوف كراكب ورُكبان وفارس وفُرسان[٨] .

سبب النّزول :

عن سعيد بن جبير قال : بعث النّجاشيّ وفداً إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقرأ عليهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأسلموا قال : فأنزل الله تعالى فيهم : لتجدنّ أشدّ النّاس عداوةً للّذين آمنوا اليهود والّذين أشركوا . إلى آخر الآية . قال : فرجعوا إلى النّجاشيّ فأخبروه فأسلم النّجاشيّ فلم يزل مسلماً حتّى مات . قال : فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنّ أخاكم النّجاشيّ قد مات فصلّوا عليه فصلّى عليه رسول الله صلّى الله عليه

---

(١) تفسير الطّبريّ ٢/٧ .
(٢) تفسير الطّبريّ ٢/٧ .
(٣) تفسير الطّبريّ ٢/٧ .
(٤) تفسير ابن كثير ٨٦/٢ .
(٥) تفسير الطّبريّ ٢/٧ .
(٦) تفسير ابن كثير ٨٦/٢ .
(٧) تفسير الطّبريّ ٤/٧ .
(٨) تفسير ابن كثير ٨٦/٢ .

وسلّم بالمدينة والنّجاشيّ ثَمّ[1] وقال آخرون بل هذه صفة قومٍ كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان فلمّا بعث الله تعالى ذكره نبيّه محمّداً صلّى الله عليه وسلّم آمنوا به[2] .

الآية الكريمة مترتّبةٌ على الآيات الكريمات السّابقات الّتي تتحدّث عن كافري بني إسرائيل وبخاصّةٍ الآيتان الكريمتان الأخيرتان . قال تعالى : ﴿ترى كثيراً منهم يتولّون الّذين كفروا . لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنّبيّ وما أنزل إليه ما اتّخذوهم أولياء ولكنّ كثيراً منهم فاسقون ﴾ إنّ من مظاهر فسق الكافرين من بني إسرائيل وخروجهم عن الصّراط المستقيم موالاتهم كفّار مكّة واتّخاذهم أولياءهم . والآية الكريمة الّتي نحن بصددها في خطابها للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم وأمّته عليه الصّلاة والسّلام تبعٌ له في ذلك تبيّن في طريقةٍ مؤكّدة أنّ أشدّ النّاس عداوةً للّذين آمنوا من أتباع محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم اليهود والّذين أشركوا . أمّا اليهود فبسبب حسدهم للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم وللعرب الّذين اصطفى الله سبحانه وتعالى منهم خاتم الأنبياء والمرسلين وقد كان بنو إسرائيل يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظلّ زمان نبيّ يخرج بتصديق ما قلنا ويتمنّون أن يكون هذا النّبيّ الخاتم من بني إسرائيل ولمّا كان هذا النّبيّ الخاتم من العرب كفر به بنو إسرائيل . وإلى ذلك أشار قوله تعالى من سورة البقرة[3] : ﴿ولمّا جاءهم كتابٌ من عند الله مصدّقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ وقوله تعالى[4] : ﴿ولمّا جاءهم رسولٌ من عند الله مصدّقٌ لما معهم نبذ فريقٌ من الّذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لايعلمون ﴾ .

وأمّا الّذين أشركوا مثل كفّار مكّة ومشركي العرب فإنّ عداوتهم للمؤمنين بسبب التّعصّب الأعمى للآلهة الّتي يعبدونها من دون الله تعالى وبسبب الخوف على منافعهم الذّاتية أن يذهب بها الإسلام ومصالحهم الشّخصيّة أن يخسروها . وإنّما كانوا فريسة هذين النّوعين من التّعصبّ الأعمى والخوف الّذي لامبرّر له لأنّهم قومٌ لايعلمون . إنّهم قومٌ لايعلمون صفاء العقيدة ويجهلون أنّ ربّ العزّة يصطفى من النّاس رسلاً وأنّه جلّ وعلا

---

(١) تفسير الطّبري ٢/٧ وثَمّ اسمٌ يشار به إلى البعيد بمعنى هناك .
(٢) تفسير الطّبريّ ٣/٧ .
(٣) الآية ٨٩ .
(٤) سورة البقرة ١٠١ .

اصطفى خاتم النّبيّين وأنزل عليه أشرف الكتب السّماويّة .

وهكذا يتبيّن أنّ الباعث لكافري اليهود على عداوة المؤمنين داء الحسد ، وأنّ الباعث لكافري العرب على عداوة المؤمنين داء عدم العلم ، وبما أنّه لا أمل في مودّة الحسود ولا في إنصافه بينما يصحّ زوال داء الجهل إذا خلا صاحبه من الحسد، وحلّ العلم الصحيح محلّ الجهل القبيح لذا قدّمت الآية الكريمة في الذّكر اليهود على الّذين أشركوا . وبشأن عداوة اليهود الأشدّ للمؤمنين لازال سواد اللّيالي وبياض الأيّام يزيد هذه الحقيقة رسوخاً ووضوحاً ، وهذا مظهرٌ من مظاهر إعجاز القرآن الكريم في مجال الغيوب . وبشأن عداوة الّذين أشركوا الّتي تلي عداوة اليهود للمؤمنين شدّةً لازال سواد اللّيالي وبياض الأيام يزيد هذه الحقيقة رسوخاً ووضوحاً . فهولاء كفّار مكّة مثلاً الّذين كانوا حلفاء اليهود وقتاً من الأوقات ضدّ المسلمين ، حينما زال جهلهم ، تحوّلت عداوتهم للمسلمين مودّة ، مصداقاً لقوله جلّ وعلا في كتابه العزيز[1] : ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الّذين عاديتم منهم مودّة . والله قدير . والله غفورٌ رحيم ﴾ .

وبهذا يتبيّن أنّ عداوة اليهود للّذين أمنوا الأشدَّ من كلّ عداوة أزليّة ، وأنّ عداوة الّذين أشركوا للّذين آمنوا الّتي تلي عداوة اليهود شدّةً مرتبطةٌ بتعصّبهم للشّرك وجهلهم حقيقة التّوحد ، فعلى المسلمين أن يبذلوا قصارى جهدهم في الدّعوة إلى الله تعالى وفي العمل على نشر دين الإسلام الّذي أكمله الله تعالى ورضيه لنا وأتمّ به النّعمة علينا . والثّابت أنّ نجاح الدّعوة إلى الإسلام بين صفوف المشركين أكبر من نجاحها بين صفوف أهل الكتاب ، فعلى المسلمين دائماً وأبداً أن يعملوا على نشر هذا الدّين الّذي لايقبل الله سبحانه وتعالى من العبد سواه فإنّه الكفيل وحده بإذن الله تعالى بالقضاء على كلّ عداوةٍ لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم ولدين الإسلام .

وفي القول : ﴿ولتجدنّ أقربهم مودّة للّذين آمنوا الّذين قالوا إنّا نصارى ﴾ تقرّر الآية الكريمة أنّ أقرب النّاس مودّةً للّذين آمنوا هم الّذين قالوا إنّا نصارى من أتباع عيسى ابن مريم عليه السّلام . وقد قال تعالى[2] : ﴿ثمّ قفّينا على آثارهم برسلنا وقفّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الّذين اتّبعوه رأفةً ورحمة ﴾ ونستطيع أن نفهم أنّ قرب المودّة للمؤمنين بسبب الرّأفة والرّحمة اللّتين وضعهما الله تعالى في قلوب أتباع عيسى عليه

---

(١) سورة الممتحنة ٧ .

(٢) سورة الحديد ٢٧ .

السّلام . وقد نصّت آية سورة المائدة على الأسباب الثّلاثة الأُخرى الباعثة على قرب المودّة وهي أنّ منهم القسّيسين وهم العلماء والرّهبان وهم العّباد وأنّهم لا يستكبرون ، بمعنى أنّهم حينما يتبيّن لهم الحقّ ويثبت لديهم صدق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم خاتم النّبيّين لايستنكفون عن تصديقه صلّى الله عليه وسلّم واتّباعه وتصديق النّور الّذي أنزل معه . وإنّ خير دليلٍ على قرب مودّة الّذين قالوا إنّا نصارى للمؤمنين نجاشيّ الحبشة الّذي آوى المسلمين قبل أن يُسْلم وبعد أن أسلم . ونستطيع أن نفهم أنّ موقف النّجاشيّ من الإسلام والمسلمين يتبنّاه كلّ نصرانيّ نوّر الله تعالى بصيرته وشرح صدره للإسلام ، في كلّ زمانٍ ومكان .

وحينما نتبيّن أنّ النّجاشيّ وأمثاله من المسيحيين أصلاً كانوا أقرب النّاس مودةً للمؤمنين ، ونتبيّن أنّ النّصارى في مجموعهم بعد ذلك من أشدّ النّاس عداوةً للمؤمنين نستطيع أن نفهم أنّ المراد بالنّصارى في الآية الكريمة هم الخليقون بأن يقولوا إنّهم أتباع عيسى عليه السّلام لأنّهم يطبّقون تعاليمه عليه السّلام وفي مقدّمتها الإنجيل الّذي أوحى الله سبحانه وتعالى به إليه ، وفيه النّصّ على النّبيّ الأمّيّ محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم . والّذي يجعلنا نطمئنّ إلى هذا الرّأي هو أنّ من النّصارى حتّى يوم النّاس هذا من بادر إلى اعتناق دين الإسلام الّذي رضيه الله تعالى لعباده حينما وقف على حقيقة هذا الدّين . وكاتب هذه السّطور على علمٍ شخصيّ ببعض هؤلاء المسيحيّين الّذين شرح الله تعالى صدورهم للإسلام . رجالاً ونساءً . وإنّ لكاتب هذه السّطور تجربةً مع واحدةٍ شرح الله صدرها للإسلام فإذا طلب إليها أن تقرأ ما تيسّر من القرآن فاضت عيناها من الدّمع قبل أن تكمل تلاوة الآية الكريمة الواحدة من الذّكر الحكيم . وهذا هو حالها حينما تسمع ما تيسّر من القرآن الكريم الّذي أنزله الله تعالى على خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم . والآية الكريمة التّالية تشير إلى هذا الفريق .

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾

تفيض من الدّمع : فيض العين من الدّمع امتلاؤها منه ثمّ سيلانه منها كفيض النّهر من الماء وفيض الإناء وذلك سيلانه عن شدّة امتلائه[1]

فاكتبنا مع الشّاهدين : معنى الكتاب في هذا الموضع الجعل . يقول : فاجعلنا مع الشّاهدين وأثبتنا معهم في عدادهم[2] وعن ابن عبّاس في قوله : اكتبنا مع الشّاهدين قال : أمّة محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم[3] .

تقرّر الآية الكريمة أنّ المؤمنين حقّاً من النّصارى إذا سمعوا ما أُنْزِل إلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من القرآن المجيد ترى أيّها الرّسول الكريم وترى أيّها المخاطب أعينهم تفيض من الدّمع الّذي امتلأت به . ولا يفيض النّهر إن لم يمتلىء . ولا تفيض العين بالدّمع ما لم تمتلىء به . وها هي ذي أعين المؤمنين من النّصارى تفيض من الدّمع لسماع آي الذكر الحكيم بسبب ما عرفوا من الحق وقد سمعوا كلام الله تعالى الذي أوحى به إلى محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وسلّم خاتم النبيين .

وهم يترجمون ما عرفوا من الحقّ لسماعهم آي الذّكر الحكيم إلى قولٍ يتجلّى فيه عميق إيمانهم وصادق دعائهم أن يجعلهم ربّهم جلّ وعلا مع الشّاهدين من أمّة محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم بأنّ القرآن الكريم قد أنزله الله تعالى بالحقّ وبالحقّ نزل .

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾

إنّ المؤمنين من النّصارى يستمرّون قائلين ، سواءٌ اعترض على إيمانهم معترضٌ أم لم يعترض : وما الّذي يمنعنا من أن نؤمن بالله تعالى الواحد الأحد الفرد الصّمد الّذي لم يلد ولم

---

(١) تفسير الطّبريّ ٥/٧ .

(٢) تفسير الطّبريّ ٦/٧ .

(٣) تفسير الطّبريّ ٥/٧ .

يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وما الّذي يمنعنا من أن نؤمن بما جاءنا فعلاً ووصل إلينا من الحقّ الّذي أوحى الله سبحانه وتعالى به إلى خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم آياتٍ بيّنات ، يسّرها الله سبحانه وتعالى للذّكر ، ورتّلها المؤمنون ترتيلا ، ووعتها صدورهم ، وترجموها إلى عمل . ما الّذي يمنعنا أن نفعل مثل المؤمنين كلّ ذلك ؟ ووراء هذا وذاك ما الّذي يمنعنا أن نطمع أن يدخلنا ربّنا جلّ وعلا مع القوم الصّالحين ، محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم وأمّته ، جناتٍ تجري من تحتها الأنهار وأن ننال حظّنا من تلك الجنّات ونصيبنا من نعيمها وهي الّتي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر . والجواب بطبيعة الحال معروف . لاشيء يمنع . بل إنّ هذا هو الواجب الّذي لايذانيه واجبٌ آخر .

ونستطيع أن نفهم أنّ هذا الفريق من أهل الكتاب قد شملتهم رحمة الله تعالى الّتي وسعت كلّ شيءٍ فتحقّق فيهم قوله تعالى[1] : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ كما تحقّق فيهم مثل قوله تعالى[2] : ﴿ وإنّ مِنْ أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أُنزِل إليهم خاشعين لله لايشترون بآيات الله ثمناً قليلاً . أولئك لهم أجرهم عند ربّهم . إنّ الله سريع الحساب ﴾ وقوله تعالى[3] : ﴿ الّذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذ يُتْلَى عليهم قالوا آمنّا به إنّه الحقّ من ربّنا إنّا كنّا من قبله مسلمين . أولئك يؤتَوْن أجرهم مرّتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السّيّئة وممّا رزقناهم ينفقون . وإذا سمعوا اللّغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلامٌ عليكم لانبتغي الجاهلين ﴾ .

فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾

هذا الفريق المؤمن المحسن من أهل الكتاب يصدق في حقّه قوله عزّ من قائل[4] : ﴿ والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين ﴾ فبسبب جدّ هذا الفريق في

---

(١) سورة الأنعام ١٢٥ .
(٢) سورة آل عمران ١٩٩ .
(٣) سورة القصص ٥٢ ــ ٥٥ .
(٤) سورة العنكبوت ٦٩ .

البحث عن الحقّ وانقيادهم له حينما تبيّن لهم ودخولهم في دين الإسلام الّذي رضيه الله تعالى لعباده واتّباعهم خير الأنام محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم أثابهم الله سبحانه وتعالى على صادق قولهم وصائب فعلهم وخالص اعتقادهم بعد أن لحقوا بالرّفيق الأعلى ، جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . وذلك الثّواب من الله تعالى بالخلود في الجنّة الّتي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر جزاء المحسنين الّذين كانت أعمالهم صالحةً موافقة للشّرع الحكيم ، خالصةً أريد بها وجه الله تعالى وحده لا شريك له ، والّذين أحسنوا العبادة فجعلوها خالصةً لله تعالى وحده لا شريك له وترجموا إلى عمل تفسير المصطفى صلّى الله عليه وسلّم للإحسان بأن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

بيّنت الآية الكريمة السّابقة أنّ الجنّات الّتي تجري من تحتها الأنهار ثواب المحسنين من أهل الكتاب الّذين تركوا النّصرانيّة واعتنقوا دين الإسلام الّذي رضيه الله تعالى لعباده والّذي بعث به محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم والّذي لا يقبل سبحانه وتعالى من عباده أيّ دينٍ سواه بنصّ القرآن الكريم . وعلى عادة القرآن الكريم المثاني الّذي تتكرّر فيه المعاني والّذي يُجْمَع فيه بين الشّيء وضدّه المعنى وخلافه ، يتمّ التحوّل في الآية الكريمة التّالية إلى الّذين كفروا وكذّبوا بآيات الله تعالى . وإذا كانت صفة الإحسان تصحّ في حقّ كلّ من أذعن للحقّ وانقاد له واعتنق دين الإسلام الّذي رضيه الله تعالى لعباده ، فإنّ صفة الكفر تصحّ هي الأخرى في حقّ كلّ من عرف الحقّ فتنكّر له وجحده ، يستوى في ذلك أهل الكتاب وغير أهل الكتاب . إنّ مصير الّذين عرفوا الحقّ فجحدوه وأصرّوا على ضلالهم وكفروا بالله تعالى فلم يفردوه جلّ وعلا بالعبادة وأنكروا نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم وكذّبوا بآيات الله تعالى الّتي أوحاها إليه قرآناً يسّره جلّ وعلا للذّكر إنّ مصير أولئك النّار وبئس القرار ، وإنّ أولئك هم أصحاب الجحيم وأهل ما اشتدّ حرّه من النّار[1] والعياذ بالله .

---

(١) تفسير الطّبريّ ٦/٧ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾

سبب النّزول :

عن ابن عبّاسٍ نزلت هذه الآية في رهطٍ من أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قالوا : نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدّنيا ونسيح في الأرض كما يفعل الرّهبان فبلغ ذلك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك فقالوا : نعم . فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : لكنّي أصوم وأفطر وأصلّي وأنام وأنكح النّساء فمن أخذ بسنّتي فهو منّي ومن لم يأخذ بسنّتي فليس منّي[1] وفي الصّحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنّ ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن عمله في السّرّ فقال بعضهم : لا آكل اللّحم . وقال بعضهم : لا أتزوّج النّساء . وقال بعضهم : لا أنام على فراش . فبلغ ذلك النّبيّ ﷺ فقال : ما بال أقوامٍ يقول أحدهم كذا وكذا ولكنّي أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللّحم وأتزوّج النّساء ، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي[2] . ومن الّذين همّوا أن يتبتّلوا عثمان بن مظعون وعليّ بن أبي طالب وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالم مولى أبي حذيفة[3] .

ولا تعتدوا : الاعتداء تجاوز المرء ما له إلى ما ليس له في كلّ شيء[4] .

ولا تعتدوا حدّ الله الّذي حدّ لكم فيما أحلّ لكم وفيما حرّم عليكم فتجاوزوا حدّه الّذي حدّه فتخالفوا بذلك طاعته[5] .

والمراد بالطّيّبات اللّذيذات الّتي تشتهيها النّفوس وتميل إليها القلوب[6] .

عُنِيت السّورة الكريمة في أوّلها بالحلال من الأطعمة وبالحرام منها . ولمّا كان النّصارى الّذين تحدّثت الآيات الكريمات السّابقات عنهم قد حرّموا على أنفسهم بعض الطّيّبات من المطاعم ، واللّذيذ من المشارب ، كما حرّموا على أنفسهم النّساء ومن القسس والرّهبان من

---

(١) تفسير ابن كثير ٨٧/٢ وانظر تفسير الطّبريّ ٧/٧ ــ ٩ .
(٢) تفسير ابن كثير ٨٧/٢ .
(٣) تفسير الطّبريّ ٨/٧ .
(٤) تفسير الطّبريّ ٩/٧ .
(٥) تفسير الطّبريّ ٦/٧ .
(٦) تفسير الطّبريّ ٦/٧ .

حبس نفسه في صومعة ومنهم من ساح في أرض الله تعالى الواسعة ، ولمّا كان بعض المسلمين همّ بأن يحاكي القسّس والرّهبان في هذا الصّنيع ، لذلك كلّه كان في الآية الكريمة إرشادٌ للمسلمين إلى الطريق الوسط ، وقد قال تعالى[1] : ﴿ وكذلك جعلناكم أمّةً وسطا ﴾ إنّ الإسلام دينٌ ودنيا ، آخرةٌ وأولى . على المسلم أن يعبد ربّه حقّ العبادة حتّى يأتيه اليقين بمعنى الموت ، وعليه ألاّ ينسى نصيبه من الدّنيا ، وقد قال تعالى[2] : ﴿ قل مَنْ حرَّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطّيّبات من الرّزق قل هي للّذين آمنوا في الحياة الدّنيا خالصةً يوم القيامة . كذلك نفصّل الآيات لقومٍ يعلمون ﴾ .

والآية الكريمة الّتي تخاطب الّذين آمنوا تنهاهم عن أن يحرّموا على أنفسهم وعلى غيرهم طيّبات ما أحلّ الله لهم من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وما إلى ذلك ، كما تنهاهم عن أن يعتدوا على حدود الله تعالى بتحليل ما حرّم الله تعالى . إنّ تحريم ما أحلّ الله تعالى اعتداء . وإنّ تحليل ما حرّم الله تعالى اعتداءٌ كذلك . فعلى المسلمين أن يمتثلوا لأوامر الله تعالى ونواهيه وأن يقولوا[3] : ﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير ﴾ .

وبما أنّ تحريم ما أحلّ الله تعالى اعتداءٌ على أحكام الله تعالى ، وأنّ تحليل ما حرّم الله تعالى اعتداءٌ على حدود الله ، وكان في الآية الكريمة نهيٌ عن هذا الاعتداء وذاك ، لذا ختمت الآية الكريمة بالقول : ﴿ إنّ الله لايحبّ المعتدين ﴾ لأيرضى عنهم ولا يسدّد خطاهم .

وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

بعد أن نهت الآية الكريمة السّابقة الّذين آمنوا عن الاعتداء على ما أحل الله تعالى بتحريمه وعن الاعتداء على ما حرّم الله تعالى بتحليله ، أمرت الآية الكريمة التّالية الّذين آمنوا بأن يسلكوا الطّريق الوسط المفهوم ضمناً من الآية الكريمة السّابقة . إنّ الآية الكريمة تأمر الّذين آمنوا بأن يأكلوا ممّا رزقهم الله تعالى من الحلال غير الحرام ، الطّيّب المستلذّ غير الخبيث . ومن متعلّقات الطّريق الوسط الأكل والشّرب دون إسراف . وإنّ الضّابط لهذه الأمور كلّها تقوى الله تعالى الّتي تأمر بها الآية الكريمة في القول : ﴿ واتّقوا الله الّذي أنتم به

---

(١) سورة البقرة ١٤٣ .
(٢) سورة الأعراف ٣٢ .
(٣) سورة البقرة ٢٨٥ .

مؤمنون ﴾ إنّ على المؤمنين أن يتّقوه جلّ وعلا في السّرّ وفي العلن ، وهم الّذين يؤمنون به جلّ وعلا واحداً لاشريك له . وتقوى الله سبحانه وتعالى هي الوجه الآخر للإحسان بأن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك .

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

المناسبة :

عن ابن عبّاسٍ قال : لمّا نزلت يا أيّها الّذين آمنوا لاتحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم في القوم الّذين كانوا حرّموا النّساء واللّحم على أنفسهم قالوا : يارسول الله ، كيف نصنع بأيماننا الّتي حلفنا عليها فأنزل الله تعالى ذكره : لايؤاخذكم الله باللّغو في أيمانكم . الآية[1] .

لا يؤاخذكم الله باللّغو في أيمانكم : اللّغو في اليمين قول الرّجل في الكلام من غير قصد : لا والله بلى والله[2] قالت عائشة : لغو اليمين ما لم يعقد عليه الحالف قلبه[3] عن السّدّيّ ليس في لغو اليمين كفّارة[4] .

ولكن يؤاخذكم بما عقّدتم الأيمان : أي بما صمّمتم عليه منها وقصدتموها[5]

من أوسط ما تطعمون أهليكم : أي أقصده وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه[6] قال أبو زيد : هو الوسط ممّا يقوت به أهله ليس بأدناه ولا بأرفعه[7] .

---

(١) تفسير الطّبريّ ٧/١٠ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢/٨٩ .
(٣) تفسير الطّبريّ ٧/١١ .
(٤) تفسير الطّبريّ ٧/١١ .
(٥) تفسير ابن كثير ٢/٨٩ .
(٦) الجلالين .
(٧) تفسير الطّبريّ ٧/١٥ .

عن ابن عبّاس قال : كفّر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بصاعٍ من تمرٍ وأمر النّاس به ومن لم يجد فنصف صاعٍ من برّ[1] .

أو كسوتهم : ما وقع عليه اسم كسوة ممّا يكون ثوباً فصاعداً[2] قال الشّافعيّ رحمه الله : لو دفع إلى كلّ واحدٍ من العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة من قميصٍ أو سراويل أو إزار أو عمامة أو مِقْنَعة[3] أجزأه ذلك[4] .

أو تحرير رقبة : التّحرير الفكّ من الأسر . والمحرّر صاحب الرّقبة لأنّ العرب كان من شأنها إذا أسرت أسيراً أن تجمع يديه إلى عنقه بقيدٍ أو حبلٍ أو غير ذلك . وإذا أطلقته من الأسر أطلقت يديه وحلّتهما ممّا كانتا به مشدودتين إلى الرّقبة . فجرى الكلام عند إطلاقهم الأسير بالخبر عن فك يديه عن رقبته وهم يريدون الخبر عن إطلاقه من أسره[5] والمعنى : أو فكّ عبدٍ من أسر العبودة وذلّها[6] وقد أخذ أبو حنيفة بإطلاقها فقال : تجزىء الكافرة كما تجزىء المؤمنة . وقال الشّافعيّ وآخرون : لابدّ أن تكون مؤمنة ، وأخذ تقييدها بالإيمان من كفّارة القتل لاتّحاد الموجب وإن اختلف السّبب ومن حديث معاوية بن الحكم السّلميّ الّذي هو في موطّأ مالك ومسند الشّافعيّ وصحيح مسلم أنّه ذكر أنّ عليه عتق رقبة وجاء معه بجاريةٍ سوداء فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أين الله ؟ قالت في السماء . قال : من أنا ؟ قالت : رسول الله . قال : أعتقها فإنّها مؤمنة[7] .

فمن لم يجد : واحداً ممّا ذكر[8] لكفّارة يمينه الّتي لزمه تكفيرها من الطّعام والكسوة والرّقاب[9] .

فصيام ثلاثة أيّام : فعليه صيام ثلاثة أيّام[10] وظاهره أنّه لايشترط التّتابع وعليه الشّافعيّ[11] .

ذلك كفّارة أيمانكم إذا حلفتم : وحنثتم[12] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٨٩/٢ وانظر هنالك اختلاف العلماء وفي تفسير الطّبريّ .
(٢) تفسير الطّبريّ ١٨/٧ .
(٣) المقنعة بكسر الميم ما تُقَنّع به المرأةُ رأسها .
(٤) تفسير ابن كثير ٩٠/٢ .
(٥) تفسير الطّبريّ ١٨/٧ .
(٦) تفسير الطّبريّ ١٨/٧ .
(٧) تفسير ابن كثير ٩٠/٢ .
(٨) الجلالين .
(٩) تفسير الطّبريّ ١٩/٧ .
(١٠) تفسير الطّبريّ ١٩/٧ .
(١١) الجلالين وانظر تفسير الطّبريّ وابن كثير .
(١٢) الجلالين .

واحفظوا أيمانكم : لاتتركوها بغير تكفير[1] واحفظوا أيمانكم : أن تنكثوها ما لم تكن على فعل برٍّ أو إصلاحٍ بين النّاسَ كما في سورة البقرة[2] .

تقرّر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى لايؤاخذنا باللّغو في أيماننا وهي الأيمان الّتي تجري على ألسنتنا عفو الخاطر ودون قصدٍ منّا كالقول : لا والله وبلى والله ، وليس في لغو اليمين كفّارة ، إنّما يؤاخذنا الله تعالى على الأيمان الّتي صمّمنا عليها وقصدناها قصداً ، ففي هذا النّوع من اليمين إذا حنثنا فيه الكفّارة ، وهي إطعام عشرة مساكين من أوسط ما نطعم أهلينا فنعطي كلّ مسكينٍ صاعاً من تمرٍ أو نصف صاعٍ من برّ ، أو إعطاء كلّ مسكينٍ ما يصدق عليه اسم الكسوة من قميصٍ أو سراويل أو إزار أو ما شاكل ذلك ، أو تحرير رقبة ، مؤمنة أو غير مؤمنة . ويلاحظ أنّ ثمّة تدرّجاً من يسير الكفّارة إلى صعبها لأنّها على الخيار .

فمن لم يجد فعليه صيام ثلاثة أيّام متتابعة أو غير متتابعة : « عن ابن عبّاس قال : هو بالخيار في هؤلاء الثّلاثة ، الأوّل فالأوّل . فإن لم يجد من ذلك شيئاً فصيام ثلاثة أيّام متتابعات . وقال آخرون : جائزٌ لمن صامهنّ أن يصومهنّ كيف شاء مجتمعات ومفترقات »[3] .

وتبيّن الآية الكريمة أنّ ذلك المذكور كفّارة أيماننا إذا حلفنا ، وتأمرنا بأن نحفظ أيماننا ، إن حلفنا ألاّ نحنث ما لم تكن على برّ ، وإن حنثنا أن نكفّر على نحو ما بيّنت الآية الكريمة .

وتقرّر الآية الكريمة أنّه في مثل ذلك التّبيين يبيّن الله سبحانه وتعالى لنا آياته لعلّنا نقوم بما يجب علينا من شكرٍ لله تعالى بعبادته جلّ وعلا وحده لاشريك له حقّ العبادة .

---

(١) تفسير ابن كثير ٩١/٢ وتفسير الطبريّ ٢١/٧ .
(٢) الجلالين والمراد الآية ٢٢٤ من سورة البقرة .
(٣) تفسير الطّبريّ ٢٠/٧ .

الخمر والميسر والأنصاب والأزلام

رجس

الآيات: ٩٠ - ٩٣

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

الخمر : المسكر الّذي يخامر العقل[١] بمعنى يغطّيه .

والميسر : عن ابن عبّاس قال : الميسر هو القِمار كانوا يتقامرون في الجاهلّية إلى مجيء الإسلام فنهاهم الله عن هذه الأخلاق القبيحة[٢] .

والأنصاب : قال ابن عبّاس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وغير واحد هي حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها[٣] والأنصاب مفرده النُّصْب والنُّصُب ، وهي حجارةٌ نصبت حول الكعبة وهي ثلاثمائة وستّون نصباً كانت العرب يذبحون عندها وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذّبائح ويشرّحون اللّحم ويضعونه على النُّصب[٤] .

والأزلام : هي قداحٌ كانوا يستقسمون بها رواه ابن أبي حاتم[٥] والأزلام واحدها زَلَم محرّكة وكصُرد وهي القِداح والواحد قِدْح بالكسر ، وهو السّهم قبل أن يركّب فيه الحديدة أو النّصل وقبل أن يركّب فيه الرّيش . وكان أهل الجاهلّية إذا أراد أحدهم سفراً أو غزواً أو نحو ذلك أجال[٦] القداح وهي الأزلام وكانت مكتوباً على بعضها : نهاني ربّي ، وعلى بعضها : أمرني ربّي . وكان يفعل ما تأمر به القداح وتنهي[٧]

رجس : عن ابن عبّاس أي سخطٌ من عمل الشّيطان[٨] وخبيثٌ مستقذر[٩] وإثمٌ ونتن[١٠] .

فاجتنبوه : فاتركوه وارفضوه ولا تعملوه[١١] .

نهت آيةٌ كريمةٌ في القسم السّابق المؤمنين عن أن يحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لهم وعن

---

(١) الجلالين وتفسير ابن كثير ٩٢/٢ .
(٢) تفسير ابن كثير ٩١/٢ .
(٣) تفسير ابن كثير ٩٢/٢ .
(٤) تفسير ابن كثير ١١/٢ .
(٥) تفسير ابن كثير ٩٩/٢ .
(٦) أدار وحرّك .
(٧) انظر تفسير ابن كثير ١١/٢ ، ١٢ .
(٨) تفسير ابن كثير ٩٢/٢ .
(٩) الجلالين .
(١٠) تفسير الطّبريّ ٢١/٧ .
(١١) تفسير الطّبريّ ٢١/٧ .

الاعتداء على حدود الله بتحليل ما حرّم الله . وهذه الآية الكريمة تبيّن بعض هذه الحدود وتخاطب الذين آمنوا باعتبارهم المستفيدين من منهج القرآن الكريم التربويّ مبيّنةً لهم أنّ الخمر ، وهي كلّ ما خامر العقل وغطّاه ، والميسر ، وهو القِمار الّذي يتمّ عن طريقه الاستحواذ على أموال الآخرين دون وجه حقّ ،والأنصاب ، وهي الحجارة الّتي كانت منصوبةً حول الكعبة يذبح العرب عندها وينضحونها بدماء تلك الذّبائح ويشرّحون اللّحم ويضعونه عليها ، والأزلام ، وهي القداح الّتي كانوا يستقسمون بها ويحاولون أن يعرفوا عن طريقها قَسْمهم وحظّهم ، مبيّنةً أنّ كلّ هذه الأمور رجسٌ خبيثٌ مستقذرٌ من عمل الشّيطان وإثمٌ ونتنٌ بإيحاءٍ منه وأمر . فعلى المسلمين أن يجتنبوا كلّ ذلك لعلّهم يفلحون وينجحون ويفوزون في الآخرة بالنّعيم الأبديّ السّرمديّ .

ومن البيّن أنّ تحريم الخمر مرّ بثلاث مراحل وأنّنا بصددُ المرحلة الثّالثة والأخيرة روى الإمام أحمد أنّ عمر بن الخطّاب قال لمّا نزل تحريم الخمر : اللّهمّ بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية الّتي في البقرة[1] : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للنّاس .﴾ الآية . فدعي عمر فقرئت عليه فقال : اللّهمّ بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً . فنزلت الآية الّتي في سورة النّساء[2] : ﴿ يا أيّها الّذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون ﴾ الآية . فكان منادى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا قال : حيّ على الصّلاة نادى : لا يقربنّ الصّلاة سكران . فدعي عمر فقرئت عليه فقال : اللّهمّ بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً . فنزلت الآية الّتي في المائدة فدعي عمر فقرئت عليه فلمّا بلغ قول الله تعالى : فهل أنتم منتهون. قال : انتهينا[3] .

وإنّما حرّم الإسلام الخمر لأنّها أمّ الخبائث وأمّ الكبائر بسبب قدرتها على تعطيل العقل مناط التّكليف . فكيف يسمح العاقل لنفسه أن يفقد بالخمر الجوهرة الّتي تميّزه عن الحيوان . وليس بخافٍ على أيّ منّا المآسي والمهازل الّتي يتورّط فيها شاربو الخمر . ومعروفٌ أنّ العقل واحدٌ من الكلّيّات الّتي جاء الدّين لحمايتها بينما الخمر تفتك به ، ولهذا حرّمها الشّارع الحكيم .

---

(١) الآية ٢١٩ .

(٢) الآية ٤٣ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٩٢/٢ وتفسير الطّبريّ ٢٢/٧ .

وإنّما حرّم الإسلام الميسر لأنّ فيه أكلاً لأموال النّاس بالباطل وذلك ممّا يثير البغضاء والشّحناء بين النّاس ، وديـن الإسلام حريصٌ على ترسيخ كلّ ما يؤدي إلى الوفاق والائتلاف ، والقضاء على كلّ ما يؤدّي إلى الشّقاق والاختلاف ، وإنّ الميسر من أكبر الأسباب المؤدّية إلى النّزاع .

ومن الطّبيعيّ أن يقضي الدّين الإسلاميّ دين التّوحيد على كلّ مظاهر الشّرك ومنها الأنصاب .

وبدلاً من الاستقسام بالأزلام الّذي حرّمه الدّين الحنيف هنالك الاستخارة كما بيّنها الحديث الصّحيح الّذي رواه الإمام أحمد والبخاريّ وأهل السّنن عن جابر بن عبدالله قال : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعلّمنا الاستخارة في الأمور كما يعلّمنا السّورة من القرآن ويقول : إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثمّ ليقل : اللّهمّ إنّي أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنّك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علّام الغيوب . اللّهمّ إن كنت تعلم أنّ هذا الأمر — ويسمّيه باسمه — خيرٌ لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري — أو قال : عاجل أمري وآجله — فَاقْدُره لي ويسّره لي ثمّ بارك لي فيه . اللّهمّ وإن كنت تعلم أنّه شرٌّ لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفني عنه واصرفه عنّي واقدر لي الخير حيث كان ثمّ رضّني به[1] .

وممّا يلفت الانتباه في الآية الكريمة استعمال جملة ﴿ فاجتنبوه ﴾ بشأن هذه المحرّمات ، وذلك يذكّرنا بالجملة ذاتها الّتي استعملت في اجتناب الشّرك الذّنب الّذي لايغفره الله جلّ وعلا ، وذلك في قوله عزّ من قائل في سورة الحج[2] : ﴿ ذلك ومن يعظّم حرمات الله فهو خيرٌ له عند ربّه . وأحلّت لكم الأنعام إلاّ ما يُتْلى عليكم فاجتنبوا الرّجس من الأوثان واجتنبوا قول الزّور ﴾ .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممّن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه .

---

(١) تفسير ابن كثير ١٢/٢ .

(٢) الآية ٣٠ .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

تبيّن الآية الكريمة أنّ الشّيطان الرّجيم ، بإغراء النّاس بشرب الخمر ولعب القِمار ، إنّما يريد أن يوقع بينهم العداوة بدلاً من المحبّة الّتي أوجدها الإسلام بين المؤمنين ، والبغضاء بدلاً من التّآلف والتّجاذب . ومع أنّ العداوة والبغضاء يكون كلٌّ منهما وليد الخمر ووليد الميسر ، بسبب فقد السّكران عقله وإتيانه قبيح الأقوال والأفعال ، وبسبب فقد المقمور المغلوب المقهور ماله ، فإنّه يصحّ وراء ذلك أن ترتبط العداوة بالخمر بدرجةٍ أكبر وأن ترتبط البغضاء بالميسر بدرجةٍ أكبر . وكلٌّ من العداوة والبغضاء شرّ يحرص الدّين الحنيف على أن يجتنبهما المسلم . ولا تقف عداوة الشّيطان الرّجيم عند إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين بتزيينه لهم شرب الخمر ولعب القمار إنّما تتجاوز ذلك إلى صدّه لهم عن ذكر الله تعالى وعن الصّلاة . وأيّ ذكرٍ يُنْتَظر من مخمور أو مقمورٍ وأيّ صلاة ؟ وحينما يكون اللّعين قادراً على صدّ المؤمنين عن الذّكر وهو الشّعيرة الوحيدة الّتي لم يضع الشّارع الحكيم حدّاً لها لسهولة الذّكر على اللّسان في كلّ الأحوال ، ومن ذلك قوله عزّ من قائل[1] : ﴿ يا أيّها الذّين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبّحوه بكرةً وأصيلا ﴾ وقادراً على صدّ المؤمنين عن الصّلاة الّتي تنهي عن الفحشاء والمنكر وقد قال عزّ من قائل[2] : ﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصّلاة . إنّ الصّلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر . ولذكر الله أكبر . والله يعلم ما تصنعون ﴾ يكون معنى هذه القدرة وتلك من اللّعين ، القدرة وراء ذلك على الصّدّ عمّا سوى الذّكر والصّلاة .

ومعنى هذا الاستفهام : ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾؟ انتهوا .. وهذا ما فعله المسلمون من أصحاب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم .

وإنّ استجابة تلاميذ محمّد صلّى الله عليه وسلّم لأمر ربّهم بالانتهاء عن تناول كلّ مسكر ينبغي التّنويه بها والتّنبيه عليها ، فها هي ذي ثمرة منهج التّربية القرآنية الّتي تدرّجت

---

(١) سورة الأحزاب ٤١ ، ٤٢ .

(٢) سزرة العنكبوت ٤٥ .

في تحريم الخمر على ثلاث مراحل قد آتت أكلها ولله الحمد والمنّة . وإنّما ننوّه باستجابة الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم لنداء ربّهم في تحريم الخمر حينما نستذكر فشل الأمم غير المسلمة قاطبةً في تحريم الخمر رغم القوانين الصّارمة والعقوبات الحازمة وملايين الصّفحات الّتي سوّدتها الأقلام من أجل تحقيق هذه الغاية . وليس فشل الولايات المتّحدة في هذا المضمار منّا ببعيد . وهذا هو الفرق بين المسلمين وسواهم ، وهذا هو الفرق بين أتباع الوحي السّماويّ وأتباع القانون الوضعيّ . إنّه بقدر استجابة المسلمين لتعاليم السّماء تمرّد سواهم على قوانين البشر .

وثمّة مسألةٌ نودّ التّنبيه عليها وهي أنّ الآية الكريمة هنا اكتفت بالحديث عن الخمر والميسر بينما تحدّثت الآية الكريمة السّابقة عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، لأنّ الأنصاب والأزلام غدت بفضل الله تعالى بالإسلام أثراً بعد عين ، بينما النّفس الأمّارة بالسّوء لازالت بإغراءٍ من الشّيطان الرّجيم تتعاطى الخمر وتتعامل بالميسر . ولاحول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم .

وإنّما ذهبنا إلى ارتباط العداوة الشّديد بالخمر لجراءة المخمور على الاعتداء ولاحتمال مبادلة المعتدى عليه المعاملة بالمثل مما يتولّد عن هذه المصادمات المكشوفة العداوة وليدة الاعتداء . وإنما ذهبنا إلى ارتباط البغضاء الشّديد بالميسّر لأنّ البغضاء حالةٌ من النّفور الدّاخليّ تسيطر على المقمور في هذه الحال المغلوب على أمره المسلوب المال المقهور . وإنّما كانت البغضاء ألصق بالشّعور وبالقول منها بالفعل لأنّ اللاعب بالميسر مختارٌ أوّل الأمر فهو الجاني على نفسه . وبسبب بغضه قامره يبادله القامر بغضاً ببغض .

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾

بعد مجموعة الأوامر والنّواهي في الآيات الكريمات السّابقات تأمر هذه الآية الكريمة المؤمنين بأن يطيعوا الله تعالى ويطيعوا رسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم طاعةً مطلقةً بأن يفعلوا ما أُمروا بفعله وأن ينتهوا عمّا نهوا عنه وأن يحذروا مخالفة الله تعالى ومخالفة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام الّذي لاينطق عن الهوى . والآية الكريمة تحذّر المؤمنين بأنّهم إن هم أعرضوا عن أوامر الله تعالى ونواهيه وخالفوا تعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف الأنبياء فليكونوا على علمٍ

بأنّ الرّسول الكريم الّذي بلّغ الرّسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله تعالى حتّى أتاه اليقين ولحق بالرّفيق الأعلى ليس عليه سوى البلاغ والبلاغ فقط . أمّا الحساب فعلى الله سبحانه وتعالى فليأخذ المخالفون حذرهم بعد هذا البلاغ المبين .

لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

سبب النّزول

عن قتادة عن أنس بن مالك قال : بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجرّاح وأبي دُجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء حتّى مالت رءوسهم من خليط بُسْر[1] وتمر فسمعت منادياً ينادي ألا إنّ الخمر قد حرّمت . قال : فما دخل علينا داخلٌ ولا خرج منّا خارجٌ حتّى أهرقنا الشّراب وكسرنا القِلال وتوضّأ بعضنا واغتسل بعضنا وأصبنا من طيب أمّ سليم ثمّ خرجنا إلى المسجد فإذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأ : يا أيّها الّذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشّيطان فاجتنبوه . إلى قوله : فهل أنتم منتهون . فقال رجل : يارسول الله فما ترى فيمن مات وهو يشربها ؟ فأنزل الله تعالى : ليس على الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات جناحٌ فيما طعموا . الآية . فقال رجلٌ لقتادة : أنت سمعته من أنس بن مالك ؟ قال نعم . وقال رجلٌ لأنس بن مالك : أنت سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قال نعم . أو حدّثني من لم يكذب : ما كنّا نكذب ولا ندري ما الكذب[2] وعن جابر قال : صبّح[3] أناسٌ غداة أحد الخمر فقتلوا من يومهم شهداء وذلك قبل تحريمها . هكذا رواه البخاريّ في تفسيره من صحيحه[4] .

---

(١) البُسْر أوّله طَلْعٌ ثمّ خَلالٌ بالفتح ثمّ بَلَحٌ بفتحتين ثمّ بُسْرٌ ثمّ رطبٌ ثمّ تمر . الواحدة بُسْرة وبُسُرَة .

(٢) تفسير ابن كثير ٩٤/٢ وتفسير الطّبريّ ٢٤/٧ .

(٣) صبّحوا الخمر شربوها صباحاً .

(٤) تفسير ابن كثير ٩٥/٢ .

تقرّر الآية الكريمة أنّه ليس على الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات إثمٌ فيما طعموا من الخمر وشربوا منها قبل أن تحرّم تحريماً قاطعاً إذا ما اتّقوا الله تعالى فيما يأتون ويذرون وآمنوا من أعماق قلوبهم وعملوا الصّالحات كما بيّنها الشّارع الحكيم دليلاً بهذه الأعمال الصّالحة على صدق إيمانهم ، ثمّ اتّقوا وآمنوا بأن كان منهم زيادة تقوى وإيمان ، ثمّ اتّقوا وأحسنوا ، بأن كان منهم ترقٍ في سلّم التّقوى إلى أرفع الدّرجات فحقّقوا معها درجة الإحسان كما بيّنها الحديث النّبويّ الشّريف الّذي بيّن الإحسان بأنّه أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك .

وتقرّر الآية الكريمة في جزئيّتها الأخيرة : ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى يحبّ المحسنين ، يرضى عنهم ويزيد سداد أقوالهم سداداً وصواب أعمالهم صوابا .

أُحِلَّ صَيْدُ الْبَحْرِ لَكُمْ

وَحُرِّمَ عَلَى الْمُحْرِمِ صَيْدُ الْبَرِّ .. وَكَفَّارَتُهُ

الآيات: ٩٤ - ٩٦

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾

ليبلونّكم الله بشيءٍ من الصّيد : ليختبرنّكم الله بشيءٍ من الصّيد يعني ببعض الصّيد[١] ابتلاهم بصيد البرّ[٢] .

تناله أيديكم ورماحكم : تنال أيديهم صغار الصّيد وفراخه[٣] والبيض[٤] وتنال رماحُهم كباره[٥] ونبلُهُم وذلك كالحمر والبقر والظّباء فيمتحنكم به في حال إحرامكم بعمرتكم أو بحجّكم[٦] قال مقاتل بن حيّان : أنزلت هذه الآية في عمرة الحديبية فكانت الوحش والطّير والصّيد تغشاهم في رحالهم لم يروا مثله قطّ فيما خلا فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون[٧] .

ليعلم الله من يخافه بالغيب : يعني أنّه تعالى يبتليهم بالصّيد يغشاهم في رحالهم يتمكّنون من أخذه بالأيدي والرّماح سرّاً وجهراً لتظهر طاعة من يطيع منهم في سرّه أو جهره كما قال تعالى : ﴿ إنّ الّذين يخشون ربّهم بالغيب لهم مغفرةٌ وأجرٌ كبير ﴾[٨] .

فمن اعتدى بعد ذلك : قال السّدّيّ وغيره : يعني بعد هذا الإعلام والإنذار والتّقدّم[٩] .

تخاطب الآية الكريمة ابتداءً المؤمنين الّذين شهدوا الحديبية مع المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، ويلحق بهم المؤمنون في كلّ زمانٍ ومكان بأنّ الله سبحانه وتعالى سيختبرهم وهم محرمون ومسافرون برّاً ، ببعضٍ من الصّيد الّذي يقترب منهم ويدنو إليهم ويغشاهم في أماكنهم بحيث إنّ صغار الصّيد وفراخه تستطيع أن تناله أيديهم ، وإنّ كبار الصّيد كالظّباء

---

(١) تفسير الطّبريّ ٢٦/٧ .
(٢) تفسير الطّبريّ ٢٦/٧ .
(٣) تفسير ابن كثير ٩٧/٢ .
(٤) تفسير الطّبريّ ٢٦/٧ .
(٥) تفسير ابن كثير ٩٧/٢ .
(٦) تفسير الطّبريّ ٢٦/٧ .
(٧) تفسير ابن كثير ٩٧/٢ .
(٨) تفسير ابن كثير ٩٨/٢ .
(٩) تفسير ابن كثير ٩٨/٢ .

وبقر الوحش وحمره تستطيع أن تناله رماحهم ونبالهم . إنّ الله سبحانه وتعالى يبتليهم بهذا النّوع من الصّيد ويمتحنهم به ليعلم جلّ وعلا علم ظهورٍ من يخافه جلّ وعلا بالغيب ، وليعلم جلّ وعلا من يطيعه منهم في سرّه أو جهره ، لأنّ الله سبحانه وتعالى يرى العبد ولايخفى عليه شيءٌ من عمل العبد ، وإن كان العبد لايراه جلّ وعلا .

وتقرّر الآية الكريمة أنّ من اعتدى على الصّيد بعد ذلك الإعلام من الله تعالى والإنذار فله عذابٌ أليم ، ﴿ يوم لاينفع مالٌ ولا بنون . إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم ﴾[1] .

فائدة :

غير المأكول من حيوانات البرّ عند الشّافعيّ يجوز للمحرم قتلها . والجمهور على تحريم قتلها أيضاً ولا يستثنى من ذلك إلّا ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : خمسٌ فواسق يقتلن في الحلّ والحرم ، الغراب والحِدَأَةُ والعقرب والفأرة والكلب العقور[2] .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم
مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ
هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ
صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ
ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٩٥﴾

لاتقتلوا الصّيد : الّذي بيّنت لكم وهو صيد البرّ دون صيد البحر[3]

وأنتم حرم : وأنتم محرمون بحجّ أو عمرة . والحرم جمع حرام والذّكر والأنثى فيه بلفظٍ واحد . تقول : هذا رجلٌ حرام وهذه امرأةٌ حرام . فإذا قيل محرم قيل للمرأة محرمة[4] .

ومن قتله منكم متعمّداً : الّذي عليه الجمهور أنّ العامد والنّاسي سواءٌ في وجوب

---

(١) سورة الشّعراء ٨٨ ، ٨٩ .
(٢) تفسير ابن كثير ٩٨/٢ .
(٣) تفسير الطّبريّ ٢٦/٧ .
(٤) تفسير الطّبريّ ٢٦/٧ .

الجزاء عليه[1] والمراد بالعامد الذّاكر لإحرامه وبالنّاسي النّاسي لإحرامه .

فجزاءٌ مثل ما قتل من النّعم : فعليه جزاءٌ هو مثل ما قتل من النّعم[2] والنّعم وقد تسكّن عينه الإبل والشّاء[3] والمثل : الشّبه في الخلقة[4] وقد حكم الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم في النّعامة ببدنة وفي بقرة الوحش ببقرة وفي الغزال بعنز[5] أو شاة . وحكم بها ابن عبّاس وعمر وغيرهما في الحمام لأنّه يشبهها في العبّ[6] .

يحكم به : يحكم بالجزاء في المثل أو بالقيمة في غير المثل[7]

ذوا عدلٍ منكم : عدلان من المسلمين[8] يعني فقيهان عالمان من أهل الدّين والفضل[9] .

هدياً بالغ الكعبة : هدياً : حال من جزاء[10] بالغ الكعبة ، أي واصلاً إلى الكعبة والمراد وصوله إلى الحرم بأن يذبح هناك ويفرّق لحمه على مساكين الحرم . وهذا أمرٌ متّفق عليه في هذه الصّورة[11] .

أو : عليه[12] .

كفّارةٌ طعام مساكين : الكفّارة معطوفة على الجزاء في قوله فجزاءٌ مثل ما قتل من النّعم[13] .

أو : عليه[14] .

عدل : مثل[15] .

ذلك : الطّعام[16] .

صياماً : أي إذا لم يجد المحرم مثل ما قتل من النّعم أو لم يكن الصّيد المقتول من ذوات الأمثال أو قلنا بالتّخيير في هذا المقام بين الجزاء والإطعام والصّيام كما هو قول مالك

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٩٨ .
(٢) تفسير الطّبريّ ٧/٢٩ .
(٣) القاموس « نعم » .
(٤) الجلالين .
(٥) تفسير ابن كثير ٢/٩٩ .
(٦) الجلالين والعبّ شرب الماء أو تتابعه .
(٧) تفسير ابن كثير ٢/٩٩ .
(٨) تفسير ابن كثير ٢/٩٩ .
(٩) تفسير الطّبريّ ٧/٣١ .
(١٠) الجلالين .
(١١) تفسير ابن كثير ٢/١٠٠ .
(١٢) الجلالين .
(١٣) تفسير الطّبريّ ٧/٣٣ .
(١٤) الجلالين .
(١٥) الجلالين .
(١٦) الجلالين .

وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمّد بن الحسن وأحد قولي الشّافعيّ والمشهور عن أحمد رحمهم الله لظاهر أو بأنّها للتّخيير . والقول الآخر إنّها على التّرتيب فصورة ذلك أن يعدل إلى القيمة فيقوّم الصّيد المقتول عند مالك وأبي حنيفة وحمّاد وإبراهيم . وقال الشّافعّي : يقوّم مثله من النّعم لو كان موجوداً ثمّ يشترى به طعام فيتصدّق به فيعرف لكلّ مسكين مدّ منه عند الشّافعيّ ومالك وفقهاء الحجاز . وقال أبو حنيفة وأصحابه يطعم كلّ مسكين مدّين وهو قول مجاهد . وقال أحمد : مدّ من حنطة أومدّان من غيره. فإن لم يجد أو قلنا بالتّخيير صام عن إطعام كلّ مسكينٍ يوماً[1] .

ليذوق وبال أمره : لأذيقه عقوبة ذنبه بإلزامه الغرامة والعمل ببدنه ممّا يتعبه ويشقّ عليه . وأصل الوبال الشدّة في المكروه ومنه قول الله : فعصى فرعون الرّسول فأخذناه أخذاً وبيلا[2] .

عفا الله عمّا سلف : عفا الله أيّها المؤمنون عمّا سلف منكم في جاهليّتكم من إصابتكم الصّيد وأنتم حرم وقتلكموه[3] .

ومن عاد فينتقم الله منه : أي ومن فعل ذلك بعد تحريمه في الإسلام وبلوغ الحكم الشّرعيّ إليه[4] قال عطاء : ومن عاد في الإسلام فينتقم الله منه وعليه مع ذلك الكفّارة[5] والجمهور من السّلف والخلف على أنّه متى قتل المحرم الصّيد وجب الجزاء لا فرق بين الأولى والثّانية والثالثة وإن تكرر ما تكرّر ، سواء الخطأ في ذلك والعمد[6] .

تنهي الآية الكريمة الّذين آمنوا عن قتل صيد البرّ وهم محرمون بحجّ أو بعمرةٍ ، وتقرّر أن من قتله من الّذين آمنوا وهو محرم متعمّداً ، ذاكراً أنّه محرمٌ أو ناسياً فعليه جزاءٌ مثل ما قتل من النّعم يحكم به شخصان عدلان فقيهان من المسلمين هدياً واصلاً إلى الحرم بأن يذبح هنالك ويفرّق لحمه على مساكين الحرم . أو عليه كفّارةٌ طعام مساكين ، أو عليه مثل ذلك صياماً ليذوق المحرم قاتل الصّيد عقوبة فعله الّذي ارتكب فيه المخالفة . قال ابن

---

(١) تفسير ابن كثير ١٠٠/٢ .
(٢) تفسير الطّبريّ ٣٨/٧ .
(٣) تفسير الطّبريّ ٣٨/٧ .
(٤) تفسير ابن كثير ١٠٠/٢ .
(٥) تفسير ابن كثير ١٠٠/٢ .
(٦) تفسير ابن كثير ١٠٠/٢ .

عبّاس : « إذا قتل المحرم شيئاً من الصّيد حكم عليه فيه . فإن قتل ظبياً أو نحوه فعليه شاة تذبح بمكّة . فإن لم يجد فإطعام ستّة مساكين . فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيّام . وإن قتل أُيَّلاً[1] أو نحوه فعليه بقرة . فإن لم يجد أطعم عشرين مسكيناً . فإن لم يجد صام عشرين يوماً . وإن قتل نعامةً أو حمار وحشٍ أو نحوه فعليه بدنة من الإبل ، فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكيناً ، فإن لم يجد صام ثلاثين يوماً . والطّعام مدٌّ مدٌّ يشبعهم »[2] .

وتقرّر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى قد عفا عمّا مضى من قتل المحرم صيد البرّ وهو محرم ، وتحذّر من خالف وعاد إلى قتل الصّيد وهو محرم بأنّ الله تعالى سينتقم منه في الآخرة إضافةً إلى الكفّارة ، والله عزيزٌ ذو انتقامٍ لمن عصاه .

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

أحلّ لكم صيد البحر وطعامه : قال ابن عبّاس في الرّواية المشهورة عنه : صيده ما أخذ منه حيّاً . وطعامه ما لفظه ميتاً[3] وعنى بالبحر في هذا الموضع الأنهار كلّها . والعرب تسمّي الأنهار بحاراً كما قال تعالى ذكره : ظهر الفساد في البرّوالبحر . فتأويل الكلام : أحلّ لكم أيّها المؤمنون طريّ سمك الأنهار الّذي صدتموه في حال حلّكم وحرمكم وما لم تصيدوه من طعامه الّذي قتله ثمّ رمى به إلى ساحله[4] .

متاعاً لكم : منفعةً لمن كان منكم مقيماً أو حاضراً في بلده يستمتع بأكله وينتفع به[5] .

وللسّيّارة : السّيّارة جمع سيّار . يقول : ومنفعةً أيضاً ومتعةً للسّائرين من أرضٍ إلى أرضٍ ومسافرين يتزوّدونه في سفرهم مليحاً[6] .

---

(١) الأُيَّل بضمّ الهمزة وكسرها الذّكر من الأوعال .

(٢) تفسير الطّبريّ ٣٤/٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ١٠١/٢ .

(٤) تفسير الطّبريّ ٤٢/٧ .

(٥) تفسير الطّبريّ ٤٥/٧ .

(٦) تفسير الطّبريّ ٤٥/٧ يقال : قليب مليح أي ماؤه مِلح ، وسمكٌ مليح ومملوح .